هجرة اليهود من ليبيا كما وردت في الوثائق (٢ من ٣)

بدأت الاضطرابات بمشادة بين عربي ويهودي وانتقلت إلى الأحياء الشعبية

محمد بن غلبون *

■ أرخت الوثائق البريطانية حوادث عام ١٩٤٨ وهي موجودة في وثائق رسمية للحكومة البريطانية ومحفوظة في مكتب الوثائق العامة في لندن.

يتحدث تقرير صادر عن دائرة الاعلام العامة (البريطانية) عن الاضطرابات التي وقعت في طرابلس بتاريخ ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ استنادا الى مصادر رسمية و شبه رسمية، وشهود عيان. وهو محفوظ في الملف رقم : FO160/98

« إن الاضطرابات التي اندلعت في طرابلس عصر يوم السبت الموافق ١٢ حزيران ١٩٤٨ استمرت لعدة ساعات فقط، وأدت العمليات العسكرية التي قامت بها القوات المدنية والعسكرية الى منع تلك الاضطرابات من ان تتطور الى احداث أكثر جدية.

وفي خلال حدوث الاضطرابات بعث مراسلون إلى صحفهم تقارير صحيحة وشاملة إضافة إلى كونها حيادية. ونذكر هنا أن التقارير التي صدرت من مراقبين مسؤولين وحياديين كقناصل الولايات المتحدة وفرنسا واليونان، اجمعت كلها على ان عمليات السلطات كانت ذات فاعلية عالية وجاءت في الوقت المناسب مما ساعد في السيطرة على الوضع ومنع تفاقم الاضطرابات. الا ان رؤساء الطائفة اليهودية قاموا باصدار سلسلة من البيانات ضد السلطات البريطانية تشوبها الهستيريا، اتهموا من خلالها الادارة البريطانية بالتقاعس والتباطؤ في ارسال قوات الامن لحماية اليهود وممتلكاتهم، وعدم اظهار الشدة في معاملتهم للمشتركين في اعمال الشغب. بل انهم لم يتورعوا عن اتهام السلطات بالتآمر مع السكان العرب من أجل ابتداء الاضطرابات. لكن ما الفائدة التي تجنيها بريطانيا من اشاعة الاضطرابات العنصرية في ليبيا، في الوقت الذي تناقش فيه الدول العظمى الاربع مسألة الانتداب البريطاني لليبيا في لندن في الوقت الحاضر؟

وتم ابراق هذه الاتهامات الى عدة جمعيات يهودية عالمية، ومما لا شك فيه أنها ستستخدم من قبل اعداء بريطانيا لاثارة الاشاعات.

ما هي الحقائق إذاً؟

لعله من المجدي ان نبدأ بنبذة موجزة عن وضعية اليهود والعرب في طرابلس، وكيف تأثرت بسبب تفجر الاحداث.

ان العلاقات بين الجماعتين، على قدر ما نستطيع اثباته، كانت طبيعية. ولا شك في انه كان هناك شعور بالتوتر بين اعضاء الطائفة اليهودية لمخاوفهم من ردود فعل العرب ضدهم لما يجري في فلسطين. ولكن ليس هناك من الشواهد ما تؤيد مثل هذه الشكوك، او تشير الى تصلّب شعور العرب في المدينة. كذلك لم تجد أخبار الاضطرابات التي وقعت في الجزائر ضد اليهود في الاسبوع الماضي أي رد فعل يذكر من قبل السكان العرب المدركين.

إلا أنه كان هناك عنصر نو تأثير سيء في المدينة، ألا وهو وجود حوالى ٢٠٠ متطوع تونسي كانوا وصلوا الى المدينة وهم في طريقهم الى فلسطين، وكانت لبعضهم علاقات شخصية بعرب طرابلس. وكان هؤلاء المتطوعون في حال من الهيجان بسبب صدور قرارات جديدة من السلطات المصرية تفيد بعدم حاجتها الى مزيد من المتطوعين، ما يعني وجوب عودتهم الى بلادهم.

ان وجود هؤلاء الزائرين الساخطين، إلى انتشار الروح العدائية أخيراً بين الشبيبة اليهودية قد يكونان من الاسباب المحتملة التي أشعلت نار الاضطرابات (في يوم ١١ حزيران نُقل عربيان الى المستشفى بسبب اعتداءات قام بها اليهود في حوادث متفرقة).

كانت الاجواء في صباح وعصر يوم السبت الثاني عشر من حزيران طبيعية حتى الساعة ١٤,١٠، حين حدثت مشادة كلامية بين شاب يهودي وآخر عربي في تقاطع شارعي فيّا ليوباردي وكورزو سيشيليا (شارع عمر المختار لاحقاً) وبعد قليل تدخل شابان تونسيان فتطورت المشادة الى تبادل اللكمات ثم الى معركة جرت في فيّا ليوباردي تدخل فيها تونسيون من منطقة مقهى باسكالي ويهود من منطقة ميركاتو ريونالي (سوق الحوت لاحقاً). وفي ذلك الحين نُسيت المشادّة بين الشابين العربي واليهودي، والتي اوعزت بابتداء المعركة، واخذ العرب، التونسيون على ما نعتقد، بالهتاف «ان لم نستطع الذهاب الى فلسطين لمحاربة اليهود فلنحاربهم هنا». وبسرعة تجمّع عدد من العرب وساروا الى الحي اليهودي في المدينة القديمة من خلال باب الحرية وفيّا مانتزوني وفيّا ليوباردي، وبدأ اليهود برمي القنابل على المتظاهرين العرب الذين كانوا مسلحين بالهراوات والحجارة. وفي حوالى الساعة ١٦,٤٠ تجمع ما يقارب على ٥٠٠ متظاهر عربي معظمهم من الصبية واخذوا مواقعهم في المنطقة الواقعة غرب فيّا ليوباردي وبدأوا برمي الحجارة على اليهود الذين كانوا في طريقهم الى المدينة القديمة والى بيوتهم مابين فيّا مانتزوني وفيّا ليوباردي، في حين بدأ اليهود بالرد بالمثل من مواقعهم فوق اسطح المنازل. ثم بدأت اعمال النهب للمنازل القريبة من المتظاهرين العرب.

جاء ضابط مع عدد من رجال الشرطة من مركز شرطة السوق وأصبحوا عرضة الى الحجارة التي يرميها اليهود المتجمعون على سور المدينة، وكذلك رُميت عليهم قنبلة من جهة اليهود المنتشرين على سطوح بيوتهم وتبعها عدد من العيارات النارية. وبعد ان اطلق رجال الشرطة الرصاص نجحوا في فتح حاجز بين الفريقين المتخاصمين. وفي الساعة ١٧,٤٠ صدرت الاوامر للشرطة أن يبقوا في مواقعهم، واعلن حظر التجول بين الساعة ١٩,٠٠ والساعة ٦,٠٠ ، بينما استمر الغوغاء بالسرقات في المناطق المنعزلة الواقعة ضمن فيّا دانتي وفيّا بيتراركا (شارع جودت صوناي لاحقاً) وفيّا مانتزوني وفيّا ليوباردي. وفي الساعة ١٨,١٥ بدأ رمي مكثف بالحجارة تبعه اول حادث للحريق.

وصلت تعزيزات عسكرية الى منطقة السوق ومراكز الشرطة في المنطقة الغربية. وعندما اقتربت ساعة بدء حظر التجول انقسم المتظاهرون العرب الى جماعات صغيرة قوامها ما بين ٥٠ الى ٥٠٠ شخص وبدأوا مسيرهم من منطقة المدينة القديمة مارين بالمدينة الجديدة ثم الى الظهرة وفشلوم وشارع سيدي خليفة. ونهبت تلك الجماعات الممتلكات والمخازن اليهودية التي مرت بها ثم اضرمت فيها النيران. ونتيجة لذلك احرقت شركة طرابلس للهندسة التي يملكها جيوسيبي حبيب، بالاضافة الى وقوع حرائق في مناطق فيّا دانتي وفيّا بيتراركا وفيّا ليوباردي. وتم تطبيق نظام حظر التجول بصورة مشددة من قبل رجال الشرطة ودوريات الجيش (البريطاني). وبحلول الساعة ٢٠,٠٠ تمت السيطرة على الوضع بصورة نهائية في المدينة القيمة ما عدا بعض الحرائق. وقامت احدى الجماعات المتظاهرة المتألفة من حوالي ٥٠ شخصاً في طريق عودتها برجم دار جيوسيبي حبيب الواقعة في فيّا جيوسيبي اورزي بالحجارة. كما حدثت بعض الحوادث الثانوية ما بين الساعة ٢٠,٠٠ والساعة ٢٣,٠٠. إضافة الى تطبيق دوريات الشرطة المتنقلة لنظام حظر التجول قامت بتخليص اليهود الذين اتخذوا من الشاطئ البلدي وديكاكين المدينة الجديدة ملجأ لهم . كما القت القبض على العرب الذين اختبأوا في المقبرة العربية لتفادي نظام حظر التجول.

وفي ما يلي كشف بالاصابات التي قيدت حتى منتصف الليل من اليوم الثاني عشر من حزيران ١٩٤٨:

القتلى	عرب	يهود
المصابون بجروح بليغة	٣	١١
الجرحى	٨	١٠
	١٨	٦

كما تم علاج عدد غير معروف من العرب واليهود في عدة مستشفيات ولم يتم حجزهم.

ما بين منتصف الليل من اليوم الثاني عشر من حزيران والساعة ٦,٠٠ من صباح اليوم التالي لم تسجل أي حادثة تذكر سوى اعتقال ما يقارب ٤٧ شخصاً ممن خالفوا نظام حظر التجول. وعندما رفع حظر التجول في الساعة ١٦,٠٠ حاول ما يقارب ٢٠٠ يهودي مغادرة المدينة القيمة لجمع بعض الحيوانات، لكن الشرطة منعتهم من ذلك. وفي حوالى الساعة ٦,٣٠ اخذ اليهود مواقعهم على سور المدينة القديمة وعلى سطوح بيوتهم. وفي الساعة ٧,٠٠ تجمعت جماعتان من العرب قوام كل منهما حوالى ٤٠ شخصا في منطقة سوق الثلاث وتفرقت بعد ان اطلق رجال الشرطة الرصاص. اندلعت الاضطرابات مرة أخرى الساعة ٧,١٥ بين اليهود والعرب في فيّا مانتزوني وفيّا ليوباردي برمي الحجارة أولاً ثم حوادث سرقة للممتلكات اليهودية. وفي الساعة ٧,٥٠ نجحت قوات الشرطة بفتح حاجز بين اليهود والعرب في هذه المنطقة. ورميت قنبلة يدوية ايطالية الصنع على سيارة شرطة لكنها تدحرجت الى الطريق ثم انفجرت في منطقة خالية من دون ان تحدث اي اذى يذكر. ورميت تلك القنبلة بلا شك من على سطح احدى الدور اليهودية. وفي ذلك الوقت تجمع عدد غفير من العرب في منطقة فيّا ليوباردي واستمر رمي الحجارة بكثافة. في الساعة ٨,١٥ انتقلت السيطرة من القوات المدنية الى القيادة العسكرية، الا ان رجال الشرطة بقوا في مواقعهم حتى الساعة ١٠,٠٠ تقريباً الى ان تمكن الجنود من اتخاذ مواقعهم. وفي حوالى الساعة ١١,٣٠ اخذ اليهود المتجمعون على سور المدينة القيمة برجم قطار الديزل المتجه الى الميناء بالحجارة، فأرسلت مفرزة من الشرطة لمرافقة القطار في رحلته. في ذلك الوقت فُقدت السيطرة في المدينة القديمة وبدأت الاشتباكات اليدوية تحدث في مواقع متعددة. وحاول اليهود المتمركزون على سور المدينة القديمة جهدهم لرمي قناني زجاجية مليئة بالزيت والبنزين على المتظاهرين العرب. كما استمرت اعمال النهب والحرق في المناطق المحيطة بحارة اليهود ومنطقة فيّا ليوباردي. وفي حوالى الساعة ١١,٣٠ تمكنت قوات الجيش (البريطاني) من استعادة النظام الى المناطق المحيطة بالمدينة القديمة. قام رجال الشرطة بتطويق وتفتيش حوالي ١٠٠٠ شخص من العرب، وتم إلقاء القبض على القائمين بالسرقات الليلية. وكان معظم العرب الذين تم تطويقهم من الباعة المتجولين.

بدأ نظام حظر التجول من منتصف النهار فصاعداً ولم تقع أي حادثة خلال الليل.

بعد ان رفع نظام منع التجول في الساعة ٦,٠٠ من يوم ١٤ حزيران قامت قوات الشرطة بدورياتها في انحاء المدينة القديمة والجديدة، والقي القبض عى امرأتين عربيتين كانتا تسرقان في منطقة كازا بوبولاري (حي المساكن الشعبية بالقرب من شارع الصريم). وفي اليوم الثالث عشر من حزيران بدأ اليهود بعمليات سرقة للدور العربية في المدينة القديمة استمرت حتى اليوم التالي، إذ وصل عدد الدور العربية المسروقة من قبل اليهود الى ١٧ داراً. وألقي القبض على سبعة يهود اتهموا بالسرقات.

وفي ما يلي احصائية بحالات الطوارئ التي سجلت حتى الساعة ٨,٠٠ من يوم ١٤ حزيران ١٩٤٨:

القتلى	عرب	يهود
المصابون بجروح بليغة	٣	١٣
الجرحى	١٣	٢٢
عرب	٣٨	١٦

وفي ما يلي احصائية بعدد الاشخاص الذين القي عليهم القبض حتى الساعة ٨,٠٠:

سرقات (٤٠) متظاهرون (٢٩) اعتداءات (٤) انتهاك (٢) حيازة سلاح (٧) حرائق (٩) خرق حظر التجول (٧٥).

وظل الوضع هادئاً في الساعة ٨,٠٠ على رغم التوتر الواضح بين العرب واليهود، خصوصاً في المناطق التي تأثرت بالاضطرابات والمحيطة بالمدينة القديمة والسوق.

وقامت قوات الشرطة بدورياتها بينما بقيت قوات الجيش مرابطة في مواقعها التي انيطت اليها، ولم تقع أي حادثة تذكر في الصباح. وفي الساعة ١٢,٠٠ قامت قوات الجيش بفرض نظام منع التجول في المنطقة الواقعة شمال كورزو سيشيليا والتي تشمل المدينة القديمة.

وخلال فترة حظر التجول اطلقت القوات المسلحة النيران على شخصين عربيين وآخر يهودي، ولم تحدث حوادث اخرى في طرابلس فيما تبقى من ذلك اليوم. وفي الساعة ١٩,٠٠ اعيد فرض حظر التجول واستمر حتى الساعة ٦,٠٠ من يوم ١٥ حزيران وساعدت في فرضه قوات الجيش والشرطة.

وفي الساعة ١٩,٠٠ خفت حدة التوتر الى درجة كبيرة، وأشرفت قوات الشرطة الساعة ١٩,١٥ على عملية ترحيل الـ ٢٦٠ متطوع تونسي الى بلادهم. وغادروا المدينة من دون وقوع أي حوادث.

وتم دفن ٣ من اليهود من بينهم طفل كانوا قد قتلوا خلال الاضطرابات التي وقعت ليلتي ١٢ و١٣ حزيران. ورافق مسيرة التشييع عدد من رجال الشرطة ولم تقع أية حادثة.

وتم العثور فوق سور المدينة القديمة على لافتات يهودية تحمل شعارات مفادها «من الشرف ان يموت الانسان في سبيل وطنه». وازيلت تلك اللافتات لاحقاً. وفي الساعة ٢٣,٠٠ رافقت قوات الشرطة تجهيزات الطعام من المدينة الجديدة الى حارة اليهود إذ تم توزيعها على الاشخاص الذين التجؤا الى الكنيس.

والقي القبض على ٣٢ شخصاً آخرين ممن حاولوا خرق نظام حظر التجول ليصبح اجمالي عدد المقبوض عليهم خلال فترة الاضطرابات ١٩٧ شخصاً. ١٠ في المئة من هؤلاء كانوا من سكان طرابلس العرب، و١٠ في المئة كانوا من اليهود و٨٠ في المئة من التونسيين او من سكان المناطق المحيطة بطرابلس. ولم تقع أي حادثة خلال ليلة ١٤/١٥ من حزيران.

غداً: حوادث طرابلس كما وردت في تقارير الشرطة.

* رئيس الاتحاد الدستوري الليبي المعارض.

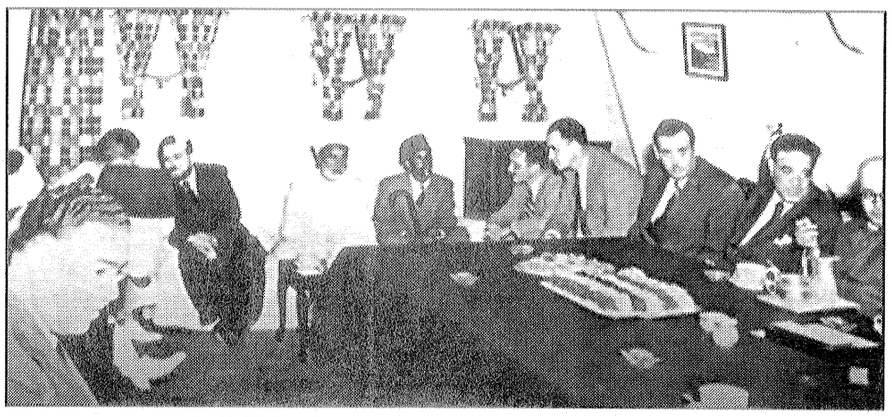

من اجتماع لجنة المصالحة العربية ـ اليهودية باشراف القنصلية الانكليزية.